قطع الرجل لسانها

وأصبح هو وحده

صاحب الكلمة

فى يوم من الأيام وفى ليل الزمان ، سأل فيلسوف حية . ' .

هل كان يسرك لو خلقت امرأة ؟

فقالت : أنا امرأة غير أن سمى فى الناب وسمها فى لسانها ! ' فكلام المرأة سم وحديثها سم ولسانها سم والرجل لا يريد أن يموت مسموماً ..

الرجل يريد أن يعيش ! والحل ؟

الحل أن يقطع لسان المرأة ويخرسها .. وهذا هو ما فعله !!

• ولكن هل فعلاً لسان المرأة سم فى سم ؟

أبداً والله ! .. فكلام المرأة حلو وحديثها عذب ولسانها عسل ..

بل إن لسان المرأة ' صرخدى العسل ' أى فى منتهى العسل .

وكلامها من ' العسل السعابيب ' أى فى طعم الشهد والرحيق .

وحديثها فيه ' الشفا والعنفوان ' ! .

ولولا كل هذه الصفات العسلية التى يتحلى بها اللسان الأنثوى ، لما وهب شهريار راضيا أذنه لشهر زاد ألف ليلة وليلة ، وراح يسهر مع حواديتها ألف ليلة وليلة ، ولا ينام ألف ليلة وليلة من شدة سحر كلامها المعسول ! .

فالحكاية فى منتهى البساطة والوضوح ، أن شهريار عندما ترك شهر زاد تتكلم كانت النتيجة قصة ' ألف ليلة وليلة ' هذه التحفة الأدبية العالمية الوحيدة المنسوبة إلى امرأة !

• وهذا شىء يغيظ .. يغيظ الرجل بالطبع ! .

الرجل يفضلها خرساء ...

وكل الرجال ليسوا شهريار !

فالرجل يريد أن يكون وحده الكلمة وصاحب الكلمة .

والرجل فى منتهى الذكاء والعبقرية .

فهو يعرف أن الكلمة أداة للسيطرة ، وأن من يملك الكلمة هو صاحب السلطة .

فالكلمة هى السلاح " الطبيعى " للجنس البشرى الذى لا يملك مخلبا ولا منقاراً .

فلو استولى الرجل وحده على الكلمة ، وحرم المرأة منها .. فسوف يحافظ على سيادته عليها ، وسوف يقمعها ، وسوف يقنعها بأنها ضعيفة لا حول لها ولا قوة ... ولا يمكنها أن تظل حية ترزق إلا بخضوعها له .

وهذا ما فعله الرجل ..

فقد أخرس المرأة وقطع لسانها المعسول حتى لا تنطق كلمة ! .

وأصبح هو الكلمة والكلام ، والمرأة هى الصمت والسكوت ، هو الكل فى الكل وهى لا شىء .

ومنذ فجر التاريخ والسلطة فى يدْ الرجل ، والقوانين تحت يده والمرأة تحت أقدامه .

إذن لا توجد مشكلة .

فما أسهل عليه أن يشل لسان المرأة بتشريعاته ويحكم عليها بالصمت نظريا وعمليا ، ويحكم على عقلها بالظلام والجهل .

والتاريخ أكبر شاهد على هذه الحقيقة الخرساء الفصيحة ! ..

ففيما عدا بعض الفلتات أى النساء الفصيحات البليغات ، فقد ظلت المرأة خرساء وجاهلة على مر الأجيال والقرون وحتى وقت قريب جدا فى أوائل القرن العشرين .

والأدلة والبراهين كثيرة .

ولسردها لا بد من مجلدات بمقدار سنوات عمر الرجل على الأرض !! ..

فاستبداد الرجل لا أول له ولا آخر .

ويكفى أن أذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض ألوان المرأة المقهورة حتى فى لسانها .. وكيف فرض الرجل وبتعسف على المرأة " قانون الصمت " .

هو السماء وهى " مكنسة " !

ففى الصين وحسب مبادىء كنفوشيوس واتباع كنفوشيوس ..

كانت تعتبر المرأة " أكثر ما فى العالم فساداً وإفساداً " ..

إنها مجرد حيوان لإنجاب الأطفال .

فهى تعيش إلى جوار زوجها تحت نفس السقف ، ولكن بعيدا عنه .

فممنوع عليها أن تأكل من نفس الطبق الذى يأكل منه ، ولا ان تشرب من نفس الكوب التى يشرب منها .

فالمرأة ميكروب ولا ينبغى ان تلوث الرجل !

فمهمتها على الأرض هى أن تخدم زوجها وتطيعه طاعة عمياء ، وتتحمل غضبه عليها وتصبر عليه مهما فعل ..

" فالزوج هو السماء ولا يمكن الهروب من السماء " ..

أى أن المرأة لا يمكن أن تهرب من زوجها حتى الموت ، فالطلاق لا وجود له .

ولكن عليها " أن تهرب من الضحك ومن الكلام " فعلى المرأة صمت الثغر واللسان ! ..

أما لو تكلمت " فعلى الرجل أن يبتسم لها ولا يستمع إليها " ..

كما جاء فى كتاب " لى كى " وهو أحد الكتب المقدسة عند أهل الصين.

• فالمرأة الصينية كانت مجرد قطعة أثاث فى بيت زوجها ، بل هى قطعة أثاث حقيرة .

فهى " مكنسة " ..

وأنا لا أبالغ فكلمة " : وجة " بالصينية مكونة من حرفين معناها "مكنسة " !

المـــرأة حـــذاء الرجـــل !

أما المرأة الكلدانية فى بابل .

فلم تكن مكنسة فحسب ، وإنما أيضا حذاء فى قدم زوجها يخلعه متى يشاء .

ففى شريعة حمورابى كان من حق الزوج أن يطلق زوجته متى يشاء يكفى أن يقول لها ' أنت لست أمرأة لى ' .

أما لو تجرأت المرأة وقذفت زوجها بنفس هذه العبارة ، وقالت له فى لحظـــة غضـــب وسخط : ' أنت لست لى زوجا ' ..

فالويل لها فعقابها الموت بالغرق والهلاك فى النهر .

فالمرأة مهما أساء زوجها معاملتها ومهما أذلها وأهانها عليها بالصمت والصـ وأيضا الصمت وإلا .... !

وهل وضع المرأة المصرية اليوم يختلف عن وضع المرأة الكلدانية منذ أربعين قرنـــا ؟

فلو طلقها الزوج أو من شدة عذابها طلبت الطلاق أفليس مصيرها هو الغرق فى نـــهر قوانين الأحوال الشخصية ؟!

بينما نجد أن المرأة الفرعونية فى القانون المصرى القديم المعاصر لقـــانون حمورابـــى كانت تتمتع بكافة الحقوق والواجبات .

كما أن المرأة القديمة كانت تلعب دورا هاما فى الدين والسياسة والحكم وتولى العرش .

لأنها كانت تتكلم وكان لها لسان !

فما أكرم الرجل المصرى القديم !

اسمهـــا الشـــر والـــذل ! .

اما المراة فى اليونان ، فكانت لا تقل تعاسة وشقاء عن المرأة فى بابل .

وكـــانوا يسمـــونها الشـــر .

فهى الشر والشر بعينه .

ففى يوم رأى الفيلسون الإغريقى (ديوجنيسى) امرأة تغرق أمامه ويحملها السيل .

فقال : " شر أخذ شراً " ! .

وفى يوم رأى سقراط امرأة تحمل ناراً .

فقال : " نار تحمل ناراً " والحامل أ شر من المحمول !

وفى يوم رأى الفيلسوف أبيقور امرأة فقدت عينيها ، فقال " ذهب نصف الشر " !

وكانوا أيضاً يسمونها الذل ويذيقونها الذل والمر .

وكل هذا والمرأة خرساء تتحمل ذلها بصمت . " فصمت المرأة هو مجدها " .

كما قال أرسطو .

كمامة لفمها ولجام للسانها !!

أما المراة عند الرومان .. فكانت مجرد " عجلة " .

يبيعها الأب للزوج ، وبنفس الثمن الذى تباع بع العجلة فى أسواق رومـــا ومـــا دامـــت "المرأة العجلة " مثل أية بهيمة أخرى فى قطيع الماشية الذى يملكه الزوج ، فمن حقه أن يفعل فيها ما يشاء ، وليس من حقها وكأنها بقرة أو جاموسة أن تتبرم أو تتذمـــر مـــن وضعها !.

وبلغ استبداد الرجل الرومانى واضطهاده للمرأة الى الحد الذى حرمـــها فيـــه عمليـــا لا نظريا من الضحك ومن الكلام ..

فالمرأة ذات اللسان النضاخ .

والتى لا يكف فمها عن الضجيج والصراخ والتى تقذف الرجل بوابل من قارص الكلام .. اخترع لها الرومان لإرغامها على الصمت الأبدى ، كمامة لفمها وشكيمة للسانها !.

فبالكمامة يخرس لسانها النطاط ، وينقطع تيار كلامها ، وينشف معين كلماتـــها .. فـــلا تنطق كلمة ، وتخرس بالفعل وبالفعل !.

أما الزوجة المثالية فى نظرهم ، أى تلك التى تنجح فى كبت الكلام فى حلقها ، وخنقـــه فى حنجرتها طوال حياتها الأرضية ، فإن زوجها بعد انتقالها إلى السماء كان ينقش فوق قبرها كمامة ولجاما تحية وتقريظا لصمتها !.

• والذى لا يصدقنى ، او لا يقوى عقله على تصديق هذه الوقائع والحقائق ، عليـــه أن يقرأ مؤلفات ليفوسى المؤرخ الرومانى العتيق الذى قضى ٤٠ عاما يسجل فيها تـــاريخ روما !.

٩٩ زوجة لكتم أنفاسها !.

• وقبل ظهور الإسلام كانت حالة المرأة فى البلاد العربية ، والبلاد المتاخمة لـــها ، لا تختلف كثيرا عن حالة المرأة الرومانية .

ففى بلاد فارس كانت المرأة مجرد أمة أو عبدة رقيقة تقضى جميع أيام حياتها مسجونة بين جدران بيتها الصماء .. فليس من حقها أن تخرج عنها مطلقا ، وليـــس مـــن حـــق عينيها أن ترى نور الدنيا الواسعة ، وليس من حق أنفها أن يتنفس الهواء النقى ، وكان من حق الرجل أن يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة حسب مزاجه .

فهى مجرد سلعة تباع وتشترى وتقتل !.

• أما المـــــرأة عنـــد العـــرب .. فقـــد كان لها شأن عظيم وتأثير كبـــير . ويكفى أن أذكر " الزباء "ملكة تدمر" وبلقيس" وملكة سبأ و " ماء السماء بنت عوف

" التى تولت الحكم ومن نسلها ملوك الحيرة .

فبصفة عامة كانت المرأة العربية معززة مكرمة بين قومها .. بل كانت " سيدة " بمعنى الكلمة ، إذا قالت كلمة انصاع لها الرجال ..

لأنها وبمنتهى البساطة كانت تملك فما "يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ، يبين به عقل والر وجواب حاضر " على حد قول عمرو بن حجر ملك كندة وجد امرىء القيس .

ومع هذا فإن وضع المرأة فى الجاهلية الأولى ، وعند بعض القبائل العربية ، كـــان لا يسر له القلب ولا يرتاح له الفؤاد من شدة انحطاطه وامتهانه .

فالأب كان يئد ابنته ويدفنها حية فى الرمال ، او يبيعها بيع الرقيق، أو يستبدل بها بعض رءوس الحيونات .

فهى مجرد راس لا فرق بينها وبين رأس أيه بهيمة فى قطيع الماشية .

ولذلك كان الرجل يتزوج بأى عدد يشاء من النساء ..

" بل لم يكن عربى ميسور إلا تراه متزوجاً ١٥ أ, ٢٠ أو أحياناً ١٠٠ زوجة " كما جاء فى كتاب منحه الصادقين للملا فتح الله .

فالبنت بمجرد أن تطلق صرخة الحياة يكتم نفسها إلى الأبد .. والزوجة بمجرد أن تنتقل إلى بيت الزوجية تكتم أنفاسها وتخرس ٩٩ زوجة أخرى !.

وبمجرد ظهور الإسلام أزيلت تلك العادات الهمجية البربرية .

ومنح الإسلام المرأة كل الحقوق التى لم تنلها المرأة الغربية إلا فى القرن الأخير فســبق بذلك الشرع الإسلامى كل شريعه سواه فى تقرير مساواة المرأة بالرجل وأعلان حريتها

* وكان صدر الإسلام هو بحق العصر الذهبى للمرأة العربية .

فقد كان لسانها فصيحا وعقلها حكيما ومخها مستنيرا .

ولكن ما كادت المرأة العربية تتكلم وببلاغة حتى أخرسها الرجل شيئا فشيئا بهدوء فـــى أول الأمر فى عهد الأمويين والعباسيين ، وبعنف فى آخر الأمر فى عهد الفاطميين .

سنة سوداء للمصرية !

• وأقسى ألوان الصمت والعذاب كان من نصيب المرأة المصرية وعلى يد الحاكم بأمر الله .. وكان الرجل مجنونا بمعنى الكلمة .

وكانت سنة ٤٠٥ هجرية أى ١٠١٤ ميلادية ، هى أسود سنة فى كل تاريخ المرأة المصرية .

ففى هذه السنة أصدر الحاكم بأمر الله فرمانه العجيب بمنع النساء منعا باتا من الخروج من بيوتهن ليلاً ونهاراً ، حتى الذهاب إلى الجامعات ممنوع ، وكأن النظافة ليست من الإيمان !

ومنعهن أيضاً من أن يطلعن على أسطح المنازل أو ينظرن من النوافذ !

كما منع صانعى الأحذية من صنع الأحذية لهن ،

ولما غضب التجار أمر بإغلاق حوانيتهم .

وبلغ الطغيان إلى حد أنه قتل بعض النساء لمخالفتهن هذه الأوامر ، كما هدم بعض الحمامات على من فيها من نساء .

فالمرأة يجب أن تكون بلا وجه وبلا جسد وبلا عينين وبلا قدمين !.

وراح يزيد الطين بلة والطنبور نغمة بأن حرام الحب على المرأة .

الحب ممنوع ؟! نعم ممنوع !

فبعد أن كتم أنفاسها فى البيت راح يكتم أنفاس قلبها ..

اى حكم عليها بالموت مرتين ..

ولكن القلوب أسرار وأبار ..

فماذا يفعل المجنون لكى يتأكد من أن المرأة التى تحت حكمه لا تحب ؟ ..

راح ينشىء أول جهاز مخابرات فى العالم الإسلامى ..

فأعد حشدا من النساء العجائز أى من الجاسوسات الشمط الحاقدات على الشباب وعلى

نضارة قلب الشباب .

وكلفهن بالإستعلام عن اخبار وأحوال قلوب النساء ..

من منهن تحب ومن هو حبيبها ..

وكانت التقارير والكشوف بأسماء المحبين والمحبات تتكدس كل يوم فوق مكتبه من العجائز الشمط .

أما مصير كل من يتكلم قلبها وتحب ، ومصير حبيبها أيضا فهو : الموت بالغرق في النيل .

• هكذا فرق المجنون على الأرض وفى الحياة بين كل اثنين فى حالة حب ، ولكنه جمع شملهما فى الموت !.

وكان من الطبيعى أن تكرهه النساء .. وأن يكرهه الرجال ..

وعبر الشعب المصرى عن كراهيته بأسلوبه التقليدى : السخرية .

فصنعوا امرأة من الورق وألبسوها ملاءة وحذاء ، ووضعوا بيدها الممدودة رقعة ورق على أنها تَظَلُّم ترفعه إلى الحاكم .

والورقة فيها سبه وسب أسلافه ، والدعاء عليه واللعنة له ، وكل شتيمة قد تخطر على بالك وتم نصب تمثال " المرأة الورق " فى أحد الطرق التى اعتاد الحاكم أن يمر منها ، ولما رآها ظن أنها امرأة حقيقية فأمر بقتلها ..

ولما تبين الحقيقة جن جنونه وأمر بقتل الكثير من النساء وإحراق بيوتهن .

ودارت معركة بين الشعب وجنود الحاكم استمرت ثلاثة أيام دمر فيها عن طريق الحريق ما يقرب من ثلثى القاهرة .

والحمد لله جاءت نهايته على يد امرأة .. ومن ؟

أخته ست الملك " أعقل النساء وأشدهن حزما وأثبتهن جنانا " كما يصفها ابن الصابىء .

فبايعاز منها تم قتله فى عام ٤١١ هجرية أى ١٠٢٠ ميلادية .

كفـــن وبـــرقـــع للكـــلام !

---

* ولكن هل بموت المجنون انتهى عذاب المراة المصرية وصمتها الأخرس ؟..

أبدا ! ففـــى عهـــد المماليـــك والسلطنة التركية تحول كل رجل إلى الحاكم بأمر الله على ' العبدة ' بأمر الحاكم !

وظلت المرأة مظلومة وجاهلة وصامته .

الأب يسوقها كالبهيمة إلى زوج .. والزوج يسجنها سجنا مؤبدا فى بيته .. ويحكم إقفال الأبواب عليها وإسدال الأستار على نوافذها والحجاب على مناقذ وجهها ! ..

فالزوجة التى يفخر بها الرجل هى ' المرأة التى لا تخرج من خدرها إلا محمولـــة إلـــى قبرها ! '

وإذا خرجت لا تخرج إلا مخفورة أو منقولة فى المحفات متحجبة متبرقعة ملتفة بالأكفان كما جاء وصفها على لسان كتاب هذه العصور المظلمة .

* ولم يكن حال المرأة فى الغرب يختلف بكثير عن حال المرأة فى الشرق .

فكم تعذبت المرأة من الصمت وبصمت فى كل زمان ومكان ، وعلى مـــر العصـــور والأجيال وحتى وقت قريب جدا .

فالرجل الذى ظل دائما ومنذ ليل الزمان هو الكلمة وهو صاحب الكلمة .. سجن لســـان المرأة داخل فمها ووضع فوقه برقع الصمت وسجن عقلها فى جمجمة رأســـها وغطـــاه بكفن الجهل .. وسجنها هى فى البيت وحجبها وبرقعها ولجمها ! ..

ولكن كل سجينة مظلومة تثور على طريقتها .. وتتكلم بأسلوبها ..

ولغة المظلومات الصامتات الخرس ، لغة أنثوية مائة فى المائة .

فكيف تكلمت المرأة ؟

وبأية لغة ؟

وبأية لهجة ؟ ...

هذه حكاية أخرى وموضوع آخر .

بتوقيع " زوج سعيد " ارسل احد القراء رسالة للأستاذ / عبد الله باجبير رئيس تحرير مجلة سيدتى من المانيا يقول فيها :

أنا رجل عربى أحرص وزوجتى على قراءة " سيدتى " لأنها المجلة العربية النسائية التى تطرح موضوعات هامة وقضايا حساسة يعانى منها مجتمعنا العربى .

وقد قرأت موضوع " زوجى اصغر منى " كما قرأت فى باب " نافذة خاصة جدا " مشكلة الشاب الذى يريد الزواج بامرأة أكبر منه سنا .

وأعجبنى طريقة معالجة هذا الموضوع الذى لا بد وأنه وقف ويقف فى طريق زيجات كثيرة ، يمكن أن تكون من أسعد الزيجات لو قدر لها " أن تكون ولو باركها المجتمع .

والذى أريد أن أقوله هنا أننى اعتبر نفسى من أسعد الأزواج على وجه الأرض .

وقد تعجب يا سيدى لو علمت أن زوجتى تكبرنى بعشرين عاما !!

لقد تزوجنا منذ عشر سنوات .

وصدقنى أن حبى لزوجتى يكبر مع الأيام ، وأننى لم أندم لحظة خلال هذه الأعوام العشرة على أننى أرتبطت بزوجة تكبرنى بكثير .

لقد عارض والدى وعارضت والدتى فى البداية هذا الزواج ، ولكنهم الآن يحبون زوجتى ويحترمونها ويرحبون بها بينهما .

بل إنهما يحبونها أكثر من زوجة أخى التى تصغر زوجتى بخمسة وعشرين عاما .

إن الذى يبعد بين الزوج والزوجة ليس فارق العمر ، وإنما فارق التفكير .

أننا نشجع أبناءنا على إتباع سنة رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام .

فلماذا نعارض رغبتهم فى الزواج من امرأة تكبرهم سنا .

وقد تزوج رسولنا الكريم زوجته خديجة بينما هى فى الأربعين من عمرها ، وهو فى الخامسة والعشرين !!! .

* أعتـــرفات زوجـــــة .

ميـــن يشتـــرى زوجـــى .... .

أهرب إعلان نشرته الصحف الأمريكية عندما عرضت زوجة زوجها للبيع !!

وقالت فى الأعلان إنها لم تعد قادرة على الحياة معه لأنه بخيل يتهرب مـــن المســئولية كزوج وأب أنانى يعيش لنفسه لكن الزوجة فوجئت فور نشر الأعـــلان بتـــهافت نســـاء كثيرات على شراء زوجها فى حالة موافقتها على الطلاق منه فتراجعت وإعادت التفكير فى بيعه .

وقالت إنها ستحاول أن تفكر فى مزاياه وتتناسى عيوبه .

الأختيـــار الـــوحيـد .

لقد قررت أن احزم الحقائب ، واحمل طفلى وأقول لك يا زوجى العزيز جاء وقت يجب أن تختار فيه .. لأن صبرى نفد ، ونفدت معه كل محاولاتى لاستعادة الحيـــاة والحـــب لاسرتنا الصغيرة .

فلك الأن .. والآن فقط .. أن تختار أما نحن وأما الغربة .

وما وصلت إليه من عذاب نما معى قبل تسع سنوات ...

واحكى لكم القصة .

تزوجت منذ عشر سنوات .

كل العالم كان جميلا .

زوجى العزيز بجانبى يغمرنى بالحب والعطف والحنان ، نعيش الســعادة بكـــل معنـــى الكلمة وقرر زوجى أن نسافر بلدا أخر حتى نستطيع أن ندخر شيئا من المال للمستقبل .

وسافرنا سويا .. وما هى إلا أيام حتى غاب زوجى عنى .

كان دائما مشغولا .

وبمجرد وصول مولودنا الأول بدأت الحقيقة تظهر أمامى كاملة .

زوجى أنصرف عنى .

دائما خارج المنزل لا أجده بجانبى عند الحاجة .

كل ما اسمعه منه فى الصباح " صباح الخير" ويخرج ، وفى المساء يعود وأنا نائمة .

مئات المرات صبرت نفسى بأن الأمور سوف تتغير ، ونتغلب على الصعاب ، ونعـــود لبلادنا مرتاحين .

لكن الحكاية طالت والمنة جرت وراءها سنوات ، وبعدها سنوات طويلة رزقت خلالها بمولودى الثانى .

فى كل مرة اتحدث اليه عن المشكلة كان يطيب خاطرى ويقول لى : كل ذلك من أجـــل سعادتك أنت والأولاد .

وكبر الأطفال ، وشعرت بأنهم يحتاجون والدا يرعاهم ويعطيهم الحب والحنان والأهتمام يتجاور معهم ، ويقدم لهم النصح والتوجيه .

ولكن أين أنت يا زوجى العزيز ؟

قلتها لنفسى كثيرا قبل أن أقولها له .. كل شىء بالنسبة لك عمل ، ولا شىء أخر يطـــل على اهتمامك سوى العمل .

إلا تشتاق لدفء اطفالك وضحكاتهم من حولك ؟

هل تعلم أن ابنتك كبرت وصارت فى عامها الثامن ؟...

وابنك الذى طرت فرحا به لأيام قليلة اصبح فى عامة الثانى ؟

لقد قلت لك كثيرا أن الحياة ليست التزامات مادية وبس ..

الحياة حب وعطاء متبادل بين جميع أفراد العائلة .

ولكن يا زوجى العزيز كنت دائما لا أجد منك إلا الملل واللامبالاة بصرخاتى التى كانت تخرج من قلبى المطعون .

وحتى الوقت الذى تجلسه ــ مجبرا ــ فى البيت اثناء الأجازات تفضل أن تضيعه فـــى القراءة ومع التليفزيون وفى اشياء أخرى لا أجد لها أهمية رعاية اولادك احبائنا .

لماذا اصبحت بخيلا يا زوجى العزيز ؟

تبخل على اولادك باللعب معهم والتحدث اليهم حتى يشعروا بأنك والدهم .

قل لى من فى الغربة يجلس معهم ويحادثهم غيرك وغيرى ؟

تصور اننى اظن احيانا أن الاولاد لا يفهمون معنى كلمة " بابا " لانك دائما غير موجود وكأنك شىء خفى وكأننى اعيش وحدى .

أحيانا أعاتب نفسى ، وأجزّ على أناملى من الحسرة .

لماذا وافقتك على السفر والغربة ؟

ولماذا كل العذاب والصبر عليه حتى الأن ؟

حتى ما تغربنا من أجله لم يحدث فلم ندخر شيئا ، والتهم غلاء الأسعار وزيادة تكـــاليف المعيشة كل ما ادخرناه ، واصبح كل شىء يصرف أولا بأول .

زوجى العزيز عذرا .. لقد حان الوقت الذى لا بد أن نحدد فيه سويا مصيرنا .

انصرفت عنى وعن بيتك وعن اولادك يا زوجى العزيز ..

وكانت دائما الحجة هى العمل .

وها نحن بعد مضى حوالى ٩ سنوات على غربتنا مثل أول يوم وصلنا فيه .. لم ندخر أى شىء ولكن بالعكس خسرنا أشياء كثيرة ومنها الألفة والأهل والأصدقاء .

بالمعنى الأصح .. خسرنا الحياة .

فلك الآن أن تختار بين الغربة التى اخترتها أنت وبيننا .. ولا تنسى أننا سوف نجد فـــى بلادنا المستوى اللائق لمعيشتنا .

يا زوجى العزيز عليك أن تختار ؟

فلا وقت نضيعه بعد الأن .

جاءنى العريس الجديد يطلب النصيحة فقلت له :

فات أوان النصيحة ، فأنت قد تزوجت بالفعل ، وعلى العموم أعلم يا ولدى أن المـــرأة تكره أن يواجهها الرجل بكلمة لا . لا صداقة مع هذه الصديقة ، لا لكـــذا ولا لكيـــت . غير أن الفلوس هى السبب الغالب فى كلمة لا .

والمرأة تتعب ، وتخطط . تحتال بكل دهاء الأنثى لتضع على لسان الرجـــل عبـــارة " حاضر يا حبيبى " .

ولذلك فهى تثور مرتين أمام كلمة لا : مرة لأنه خذل مطلبا لها ، ومـــرة لأنـــه أهـــان اانوثتها التى استعملتها سلاحا فلم تؤثر فيه .

وغالبا ما تعيد الزوجة الكرة دون اللجوء إلى بيت امها .

وإذا كانت الغيرة هى سبب المتاعب ، فالفلوس فى الزواج هى سبب معظـــم المشـــاكل والزوج العاقل هو الذى يعطى زوجته كل ما يدخل جيبه ويستريح .

والزوج الأعقل هو الذى يتعظ برومل القائد الألمانى الذى اشتهر بأنه ثعلب الصحـــراء فقد استطاع أن يخفى تحركاته عن جيوش الحلفاء ، ولكنه فشل فى أن يخفى دخله عـــن مدام رومل !

لقد اتيح لى ان اراقب بائعا فى محل كبير بعاصمة اوروبية يشرف على قسم الفســـاتين الجاهزة ، راح يقدم لسيدة ــ فى صبر جميل ــ كل ما تشير اليه وتريد تجربتـــه مـــن فساتين ، ولم تختف ابتسامته لحظة ومع الفستان السابع الذى جربته ، ولم يعجبها .

قالت السيدة للبائع : الحقيقة اننى جئت لاشترى دمية من قسم لعب الأطفـــال . فميـــلاد ابنتى اليوم ، وقد امر عليك فى وقت آخر.

ومثل هذا التصرف من جانب تلك السيدة قد يكون سببا فى ظهور اسمها فـــى صفحـــة الوفيات أو على الأقل صفحة الحوادث ، لو أن هذا التعامل كان مع زوجها .

فبينما نرى الأزواج لا يطيقون صبرا على هذا الأسلوب نجد أن كلا من البائع ومصمم الأزياء لديهما عدة تفرز صبرا جميلا ولطفا .

غير أن تقليد البائع فى الصبر وطول البال والكلمات المنمقة أمر لا يكفى .

فهناك بديهيات تقليدية لا بد للزوج الحصيف من أن يعيها ، مثل :

أولا : أن تعطى زوجتك الأمان ، فهى تعرف أن الزوج مثلما وقع فى شراكها وتزوجته فهو عرضة للوقوع فى شراك الاخريات ، فتجنب كل ما يثير شكوكـــــها ، ولا تدخـــل البيت مكتئب السحنة ، حتى لا تعتقد زوجتك أنك مهموم للقائها .

كذلك لا تدخل متهلل الوجه حتى لا ترتاب فى نواياك .

ثانيا : دع زوجتك " تغمغم " دون أن تدقق كثيرا فى الكلمات التى تصف العيشة معـــك فهذا التنفيس ضرورى للزوجة ، وفى ذلك قيلت الحكمة المأثورة :

التنفيس خير لك من أن توضع فى الكيس .

ثالثا : كن متسامحا مع زوجتك فمما يعقد الامور كثيرا تمسك الزوج بافكاره .

رابعا : أذا كان لابد من التفاهم حول موضوعات اسرية هامة ، واصررت على رايـــك فليكن ذلك بينك وبينها فى غرفة مغلقة حتى لا تضيع هيبتك أمام الاولاد .

خامسا : فى مناقشة الخلافات أعلم أن الزوج المهذب لا ينطق العيب أبدا .

اما الزوج العاقل فلا ينطق اطلاقا .

سادسا : امتدح مهارتها فى طهو الطعام ، ولا مفر من أن تتدرب على مذاق طعامها ، وأنت تترحم فى سرك على الأيام التى كانت تطهو فيها أمك طعامها الشهى .

سابعا : احترس من الوقوع فى مصيدة التناقض خلال احاديثك معها ، فأحتفظ فى مكان عملك بمفكرة صغيرة تدون فيها اكاذيبك عليها أولا بأول .

ثامنا : من المفيد جدا صحيا أن تتنهز من وقت لآخر فرصة غيابها عـــن البيـــت هـــى والاولاد لكى تبكى على أحوالك .

الزوجـــة الأخطبـــــوط !

هذه الزوجة لا كلمة على لسانها سوى : أنا أريد .. أماما تريده فهو كل شـــيء الحـــب والحنان والأهتمام وأيضاً الفلوس ..!

لاتعرف حداً لما تريده تعودت على الأخذ فهى لا تعرف العطاء ولا تعرف بـــأن كلمـــة حب .. اهم من كنوز الدنيا .

فى السوق قال سقراط حكمته الشهيرة .. إلا ما أكثر الأشياء التى لا أريدها .

وأكثر ما عذب سقراط هو جهل وحمق زوجته وأنانيتها .

وأغلب الظن أن سقراط لم يشعر بمرارة السم الذى تجرعه قبل أن يموت ، لأن سقراط كان يتجرع السم يومياً على يد زوجته التى لم تكن ترى فيه إلا إنساناً عاطلاً لانفع فيـــه سوى ذلك الهراء الذى يعلمه لتلاميذه .

ومن حسن حظ سقراط أن زمانه لم يعرف النفط . ولا السفر للدول العربية مـــن أجـــل جمع الدولارات وإلا كان قد أنفق حياته عن عقد عمل فى دولة عربية ، ليس من أجـــل تعليم الحكمة والفلسفة . والبحث عن الحقيقة .

ولكن من أجل الحصول على الدولارات ، إرضاء لزوجته !

فهذه زوجة لاتقل أنانية عن زوجة سقراط ، ترى الحياة من زواية واحدة ، هى زوايـــة الأخذ فقط ، هذا المنطق فى الحياة تعودته وأدمنته . وعذبت به زوجها الأستاذ الجامعى الذى وجد نفسه على سفر دائم ، فبمجرد أن ينتهى عقده مع جامعة فـــى الســـعودية ... تطالبه بالبحث عن عقد جديد فى الكويت .. يستغنون عنه فى الكويت ، تدفعه للتعاقد مع الإمارات ، يعود من الإمارات تقترح عليه أن يجرب البحرين .

فى كل مرة تصطنع مطلباً جديداً وملحاً .

مرة من أجل شراء شقة جديدة ، ومرة أخرى من أجل تأثيثها وفرشها ، ومرة ثالثة من أجل سيارة حديثة ، ومرة رابعة من أجل تأمين مستقبل الأولاد .

وكل ما يجمعه الرجل هو قليل فى نظرها ، فهى فى حالة احتياج دائم ، ونـــهم كبـير لمزيد من المال .

بعد عشرين عاما من اللف على الجامعات ومضغ مرارة الغربة .

أحس الرجل بأنه تعب ففكر أن يستريح ، وشعر أن إنسانيته قد أهدرت .

فـقرر أن يسترد وعيه بالحياة . وأحس أنه نسى أبحاثه ودراساته كأستاذ جامعى قدير .. فقرر أن يتفرغ لهذه الأبحاث ، وشعر بحنين إلى العودة للوطن ، واشتيـاق لرؤيـة النيل .

والجلوس مع أصدقائه فى المقهى ، والأهم من ذلك أنه اشتاق لزوجته .. أراد أن يـأخذ منها مثلما أعطاها .. أن تتفرغ له قليلاً لأنها انشغلت عنـه طويـلا برصيـد البنـك ، وحـساب الأرباح وارتفاع سعر الدولار وهنا قامت القيامة ، وكأنها تريد أن تصـادر حـقه فى الحياة ، وفى أن يعود إليها ، وإلى أولاده ، وإلى نفسه ، فـهى لـم تعرفـه كإنسان له مطالب ومشاعر .

ولكن عرفته آلة تطفىء تعطشها الدائم إلى المال والنقود ، وترضى غرورها ورغبتـها فى المباهاة . والمظهرية .. وطلبت الطلاق !

أما هذه الزوجة ، فأترك الحكم عليها إلى نهاية القصة ، هى من عائلة ريفية بسيطة ، لم تنل إلا قسطا بسيطا من التعليم إنسانة لا تجد ما تتباهى به إلا مسـحة مـن الجمـال . عوضتها عـن فقرها ورقة حالها .

المهم أن الأقدار ساقتها فى طريق شاب من عائلة غنية ، تلقى تعليمـه فـى أوروبـا ، وعاش فترات طويلة من حياته هناك ، ولكنه كان يرفض رفضا تاما الزواج بأجنبيـة ، وأنـفق سنوات من حياته فى البحث عن فتاة مصرية ، يتخذها زوجة له ، حتى قـابل هذه الفتاة .

فأعجبته ولم يفكر كثيرا قبل أن يقرر الأرتباط بها .

طبعا اعترضت عائلته على هذا الزواج لسببين :

السبب الأول أن الفتاة من عائلة شديدة الفقر ، ومن طبقة لا تتناسب أبدا مع طبقة أسرته ووضعها الاجتماعى .

والسبب الآخر انه يكبرها بخمسة عشر عاما .. ولكنه لم يعبأ بأيـــة أعتراضـــات ، ولا حتى بتهديد عائلته بمقاطعته ، إذا هو أقدم على هذه الزيجة !

بل إنه شعر بعد فترة بسيطة من الزواج ، أن الإنسانة التى ارتبط بها هى كل حياتـــه ، وإنها يكفى أن تطلب أى شىء حتى لو كان قطعة من السماء لكى ينتزعها لها .

المهم .. أن الإنسانة البسيطة فجأة وجدت نفسها قد انتقلت إلى عالم آخر ودعـــت عـــالم الفقر ، وانتقلت إلى عالم الفخفخة والنعيم ، والثراء الفاحش .

فهى تعيش فى قصر منيف بأرقى المناطق ، وفى انتظارها ســـيارة وســـائق ويرعـــى شئونها عدد من الخدم . ويكفى أن " ترمش " لتجاب جميع مطالبها .

فوق ذلك فإن الحظ كان كريما معها بغير حدود ، فأسعدها بزوج أبن ناس يحبها ، أكثر مما يحب نفسه ، وعلى استعداد لإجابة ما طلبها أيا كانت هذه المطالب .

المهم أن هذا الشاب وكأنه قد قرر أن يعيد أسطورة بجماليون سعى إى أن يجعـــل مـــن زوجته إنسانة أخرى ، فبذل جهدا فائقا فى تعليمها والارتقاء بها ، ونجح فى ذلك نجاحا باهرا .

لم يتوقعه أحد ، لأنها بالفعل تحولت إلى إنسانة جديدة تجيد التعـــامل مـــع المجتمعـــات الراقية ، والسلوكيات المتحضرة ، بل الأكثر من ذلك أنه شجعها على إكمال تعليمها ولم يكن يعوزها الذكاء ، فوصلت إلى المرحلة الجامعية .

هل بعد كل ذلك يمكن لأحد أن يفكر بأن شيئا ما ينقص هذه الإنسانة .

طبعا الجميع كانوا يحسدونها على السعادة التى غرقت فيها حتى أذنيها ..

ولـــكنها لم تكن لترضى أبدا كانت كل يوم تبحث عن مطالب جديـــدة ، تفاجـــأ بـــها زوجـــها لـــم تكن تكفيها هداياه وعطاياه وحبه وحنانه ، واستعداده الدائـــم لأن يكـــون تحت أمرهـــا .

أو حتى تحت قدميها كانت تقابل كل ذلك بالجحود والنكران .. وتتيه عليه بأنها فى ريعان شبابها .. أما هو فقد أصبح فى خريف العمر .

فى يوم من الأيام ، فوجىء الزوج بأن زوجته تطلب الطلاق !!!

حاول أن يعرف منها السبب ، أن يجعلها تتراجع ، إن لم يكن من أجل العشرة التى بينهما . فمن أجل الأبناء .

ولكنها كانت مصرة إلى أن تكشفت الأسباب ، لقد أحبت زميلاً لها فى الجامعة يصغرها بأعوام ، أوهمها أنه يحبها وسيتزوجها ، لم يتحمل الزوج أن تصل الأمور إلى هذا الحد وبالفعل وافق على الطلاق بشرط أن تتنازل عن كافة حقوقها ، إم كان لها حقوق وبالفعل تنازلت ، وتم الطلاق وتركت زوجها وأولادها من أجل الشاب الذى غرر بها وهرب منها ولم يتزوجها .

ولم تجد ما تفعله إلا أن تعود إلى أهلها وحياة الفقر التى كانت قد ودعتها .

فما هو الحكم فى هذه الزوجة !

أما هذه الزوجة فهى حالة غريبة بين الزوجات مستحقه الدراسة ..

فهى سليطة اللسان إلى الدرجة التى لم تضبط فيها مرة واحدة تثنى على أحد ..

وهى دائما فى حالة تهكم وسخرية من زوجها ، ووضعها المفضل بأنه " عِرّة الدجالة " .

ولأنها دائما تطلب من زوجها ما فوق طاقته فإن الرجل وطن نفسه على سماع مالذ وطاب من الشتائم والتوبيخ فى حالة عجزة عن إجابة تطلب أو إنجاز مهمة كافة بها .

مشكلة هذا الرجل إنه (محامى) على قد حاله ، يخرج فى الصباح الباكر بعد أن تكون قد ألفت على مسمعه قائمة طويلة وعريضة من الطلبات .

تستنزف زوجها دائماً .

ويعود فى منتصف الليل منهكاً بعد يوم طويل متعب .. فيأكل وينام ..

تقضى هى النهار فى الحديث مع الجارات عن ذكرياتها والأيام الجميلة قبل زواجها .

أيام ماكانت ترفل فى العز عند أبيها ..

ولكن حظها العاثر هو الذى جعلها ترتبط بهذا الزوج الذى لا يعرف قدر زوجية ، وهى طبعاً " تلفهم " هذا الحديث بحديث أخر عن أختها وزوجها الشاطر الذى يكسب الشـــىء الفلان . والذى لا يدخل على زوجته إلا وهو محمل بأشياء اشكال وألوان .

ومشكلة هذا الزوج إن إرضاء زوجته ضرب من المستحيل ، فإن فكر أن يفاجئها بهدية تقبلتها ببرود شديد ، بالأضافة لمحاولة الإقلال من قيمتها وتذكرة بما يهديه زوج أبنـــة خالتها أو زوج أبنة عمها لزوجته .

وإن حاول أن يطيب خاطرها بكلمة حلوة أو كلمة غزل نهرته .. ووبخته وقالت عنه أنه يعانى من مراهقة متأخرة !!

والأن ما رأى علم النفس فى هذه الزوجة ؟

تقول الدكتورة / ليلى الموصلى : أن شخصية هذه الزوجة شخصية هستيرية ، تتمـــيز بالتقلب والتغير السريع ، وتحاول الشخصية المعابة بهذا المرض أن تحقق مطالبها بأية طريقة وبتغيرات أحياناً تأخذ شكل العنف والأحتجاج والأنفعال الشديد الذى ربما يـــؤدى إلى إصابتها بعمى مؤقت ، حتى يتحقق لها ما تريد ، وهى فى الغالب شخصية تحب أن تكسب عطف الناس ولكن إحساسها تجاه الآخرين متبلد .

والشخصية المضادة لهذه الشخصية هى الشخصية الحساســـة المعطـــاءة التـــى تشعـــر بالأمتنان تجاه الأخرين ، وتفضل مبدا المشاركة فى التعامل مع الطرف الأخر فى الحياة الزوجية وهى طبعاً الشخصية السوية المطلوبة .

ومما يساعد على وجود هذه الشخصية هى الحياة فى مجتمع استهلاكى يتم تقييم الإنسان فيه بقدر ما يمتلك أو يقتنى من اشياء لا يستطيع الأخرين امتلاكها ..

ويصبح التفاخر والتباهى سمتان اساسيتين لهذه الشخصية .

أما الدكتور / عبد الفتاح عثمان استاذ علم الإجتماع يقول :فترجع هذه الحالة إلى قلـــق المـــرأة وتـــوجسها مـــن المستقبل ومحاولتها تأمين هذا المستقبل عن طريق الاستزلف

المنظم لزوجها خاصة أن الزوجة حاليا تعيش مستقلة تماما عن عائلتها التى تشكل بالنسبة لها عامل الأمان قبل أن تتزوج ...

ويضيف قائلا : إن هذا القلق قد يصيب بعض النساء بأنانية عدوانية وتمركز حول الذات .

فهى لا ترى ولا تهتم إلا بنفسها خاصة إذا كانت هذه الزوجة مرتبطة بزوج دخله من النوع المتغيرأو يعمل بالأعمال الحرة التى تعتمد على صعود وهبوط السوق فيصبح الخوف من المستقبل هو الذى يحدد أفعال ومطالب هذه المرأة .

إن الأسباب التى تسهم فى وجود هذه النوعية من النساء طبعا الأثار الجانبية للسفر والعمل بالخارج لأن الزوجة تعيش فى مستوى معيشى مرتفع واستثنائى ثم ما يلبث أن يتغير هذا الأسلوب المعيشى ويأخذ مساره نحو الأعذار .

بالشكل الذى لم تتعودة الزوجة لهذا المستوى دون أن تسأل نفسها كيف :

وأخيرا يرى الدكتور/ عبد الفتاح عثمان أن هذا السلوك هو انغطاس للمناخ النفسى العام من الأنانية .

وصية غالية لكل عروس ..

أوصى أبو الدرداء زوجته فقال :-

خذى العفو منى تستديمى مودتى ، ولا تتطقى فى ثورتى حين أغضب .

وأوصى عبد الله بن جعفر إبنته فقال :

" إياك والغيرة فإنه مفتاح الطلاق وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة وأطيب الطيب الماء "

ونصحت أم إياس إبنتها عند الزواج بعشر وصايا فقالت :

"أى بنيه إعلمى لو أن إمرأة إستغنت عن الزواج لغنى أهلها لكنت أغنى الناس ، ولكـــن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال .... .

يا بنيتى .. إحفظى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا ..

أمـــا الأولى والثانية فالمعاشره له بالرضا ، والقناعة وحسن السمع والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع أنفه وموضع عينيه ، فلا تقع عيناه منك على قبيـــح ولا يشم منك إلا أطيب الريح .

وأما الخامسة والسادسه فالهدوء عند منامه والتفقد لموضع طعامه ، فأن مرارة الجـــوع ملهبه ، وتنغيص النوم مغصبه .

وأما السابعة والثامنة فالإحتفاظ بماله والإدعاء على حشمه وعياله .

وأما التاسعة والعشرة فإياك أن تعصى له أمرا أو تفشى له سرا ، فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره .

وأعظك بعد ذلك من الفرح إن كان ترحا ، أو من الترح (الحزن) إن كان فرحا .